أما البيئة الملائمة للتحول لقوة أولى فهي البيئة الانتفاضية، فهي البيئة والهدف في آن. أي تتوالد فيها مناخات غير مجافية، كما أن الغرض وطنيٌ وليس فئوياً، أي حماية الانتفاضة وعدم التفريط بها، أما إن تغيرت البيئة السياسية الانتفاضية دون مراكمة عوامل القوة التي توفر للجبهة القدرة على قيادة النضال فحينها تتبدل الظروف وتتحرك الحلقة المركزية. ولا يعود التحول لقوة أولى هدفاً أو ممكناً.

على امتداد عام تقريباً، بين أواخر ١٩٩٠ – أواخر عام ١٩٩١ (ألقت الجبهة بثقلها الميداني في أتون الانتفاضة، وقد عكست تقارير الفعاليات الموقعية ذلك، ناهيكم عن عدد الشهداء والجرحى والمعتقلين، فقد تضاعفت تقريباً، وأصبح عدد الشهداء بين عضو وصديق يناهز الـ ١٠٠ وأربعة أضعافهم جرحى، أما في السجون فقد ارتفع العدد لـ ١٨٠٠... لكن في المقابل زادت العضوية الحزبية بنسبة ٨٠٪ في العام الأخير رغم ما أصاب الاتحاد السوفييتي بما جعل توصية الحكيم: الانتشار والانتشار.)[٥٣٩] تتحقق، فلم يعد هناك قرية أو مخيم أو حي في مدينة أو مدرسة أو مؤسسة أو غالبيتها... تخلو من وجود منظّم حزبي أو ديمقراطي ولو مجرد عضو أو عاطف.

كانت التعبئة بالشعار تتدفق في القنوات الحزبية كتدفق الدم في شرايين الجسم، والمتابعة لحوحة، والمناطق الأكثر اهمية سياسية وانتفاضية تجاوبت والعدوان الثلاثيني على العراق وفرض منع التجوال لأسابيع وفصل الثلج الذي تساقط ثلاث مرات لم تغير شيئاً، فالتأثيرات كانت مؤقتة، أما ثالثة الأثافي فجاءت من انعقاد مدريد ٩١/١٠/٣٠، فمدريد أدخل الوضع الفلسطيني في مسار جديد شهد توترات داخلية تمهيداً لانقسام عمودي، ارتفع فيه التناقض الداخلي وأدخلت الانتفاضة منعطفاً تراجعياً جذرياً... وبالتالي توالدت حالة باتت تستوجب تحريك المهمة من مهمة حزبية إلى مهمة وطنية، بالتصدي لنهج مدريد ومساره، أما الخارج فلم يؤدِ «الاستحقاق الجيفاري» وبالتالي بقيت بنية وإمكانات الجبهة في الداخل على ما هي عليه، بنية انتفاضية، وقد أشهر الاحتلال سيفاً مثابراً في ملاحقة امتداداتها، إلى درجة أن يحصد في ليلة واحدة عشرات الكادرات ومئات الأعضاء في مطلع عام ٩٢، بين احتجاز أو تحقيق وتحويل الأغلبية للاعتقال الإداري دون اعتراف أو إدانة «قانونية»، وكانت الخسارة نوعية باعتقال وسام الرفيدي وعماد السبع في رام الله، اللذين سجلا مأثرة صمودية مميزة رغم البطش والتنكيل حيث بقرت معدة وسام وتهشمت وجنة عماد، وكان قد أمضى الأول تسع سنوات من حياة المطاردة والتخفي والثاني

---

٥٣٩) نفس المرجع